Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأرض ، وقد أصيب فى شرف ابنته ، إنه ينسحب إلى حصيره البالى ، فى ذلك الركن المهمل ، من هذا الدار المتداعى ، هنا فرصة لأن يخلو بنفسه ، ويتحدث إليها حديثًا داخليًّا ، بعد تلك الملمة التى ألمت ، والمصيبة التى أصابته ، ولكن طه حسين يترك حديث قاسم ليتحدث هو عن قاسم ، ولا يدع الموقف يكشف عن نفسه وإنما هو يكشفه بنفسه ، فيترجم هذه الحالة بأسلوبه الكلاسيكى « وإذا هو يسعى إلى حصيره ذاك البالى فيجلس عليه متهالكًا ثم يمتد وقد أنهكه ما أصاب جسمه النحيل ، وقلبه العليل الضئيل من جهد ، وإذا امرأته تسمع صوتًا خافتًا يأتى من بعيد جدًّا ، وهو يقول : لو رزقنا الله مكانها غلامًا لم نتعرض لهذا الخزى ثم يعيد لهذا الخزى ، ثم ينقطع الصوت حينًا ، ثم يعود أشد خفوتًا وأعظم بعدًا ، وهو يقول : ما ينبغى للفقراء أن يلدوا البنات ، ثم ينقطع صوته فلا تسمعه امرأته سائر النهار ، ليس هو نائمًا وليس يقظان ، وإنما هو شىء بين ذلك » . إننا قد نقع على أسلوب رنان صداح ، وقد نمتع بجو جذاب أخاذ ، ولكننا نحرم – فى مقابل ذلك – من زحمة العواطف وزحمة الصراع ، وتشابك الأهواء ، وتضارب الآراء ، ولأن ذلك لا يتيسر كل التيسير إلا إذا ترك الكاتب نفسه على سجيتها بعض الترك ، وأرخى زمام قلمه بعض الشىء ، وإذا بنا لا نحس مثلاً فى رواية شجرة البؤس بتداخل الصراع وتشابك مصائر الأجيال ، وكأننا أمام تبويب لبعض الأسر